

الدبلوماسية والتوسع الروسي-الفرنسي وأثرهما في إسقاط الامبراطورية العثمانية

محمد محمد سعيد مهدي

المديرية العامة لتربية الأنبار، الأنبار، العراق

m8alheet@gmail.com

المخلص

تمثلت "المسألة الشرقية" في تدخل الدول الأوروبية الكبرى في شؤون الدولة العثمانية واستغلال ضعفها التدريجي، وكان للدبلوماسية والتوسع الروسي والفرنسي الدور الأكبر في تعجيل سقوطها. اتبعت روسيا سياسة توسعية طويلة المدى هدفها الوصول إلى المياه الدافئة والسيطرة على المضائق وحماية الأرثوذكس في البلقان، فخاضت سلسلة حروب ضد العثمانيين من القرن 17 حتى 19 وأجبرتهم على توقيع معاهدات مجحفة مثل كوتشوك كينارجي 1774 التي منحت لها حق التدخل في الشؤون الداخلية، كما استخدمت الدبلوماسية لدعم حركات القومية السلافية في الصرب واليونان والبلغار وإضعاف وحدة الإمبراطورية من الداخل. أما فرنسا فقد تحولت من مرحلة التحالف مع العثمانيين ضد هابسبورغ في القرن 16 إلى مرحلة التنافس الاستعماري، فأعلنت نفسها حامية للكاتوليك في الشرق واستخدمت البعثات التبشيرية والثقافية والتعليمية كأداة نفوذ، ثم باشرت التوسع المباشر باحتلال الجزائر عام 1830 والتدخل في الشام ومصر. وقد ساهم تنافس الدولتين وتعاونهما أحياناً في تدويل المسألة الشرقية وعرضها في المؤتمرات الأوروبية، مما أدى إلى فرض الإصلاحات والديون والامتيازات الأجنبية التي أضعفت السيادة العثمانية اقتصادياً وسياسياً، وانتهى الأمر بتقسيم تركيا "الرجل المريض" بعد الحرب العالمية الأولى حيث كان التوسع الروسي العسكري والدبلوماسي الفرنسي الاستعماري عاملين أساسيين في إسقاط الإمبراطورية العثمانية.

الكلمات المفتاحية : الدبلوماسية , التوسع , الروسي , الفرنسي , العثمانية

Diplomacy and Russian-French expansion and their impact on the fall of the Ottoman Empire

Mohammed Mohammed Saeed Mehedi

General Directorate of Education of Al-Anbar, Al-Anbar, Iraq, E-mail: m8alheet@gmail.com

Abstract

The “Eastern Question” was represented by the interference of the major European powers in the affairs of the Ottoman Empire and exploitation of its gradual weakness. Russian and French diplomacy and expansion had the greatest role in hastening its downfall. Russia followed a long-term expansionist policy aimed at reaching warm waters, controlling the straits, and protecting the Orthodox in the Balkans. It fought a series of wars against the Ottomans from the 17th to the 19th century and forced them to sign unfair treaties such as Kucuk-Kaynarci 1774. Which granted it the right to intervene in internal affairs. It also used diplomacy to support Slavic nationalist movements in Serbia, Greece, and Bulgaria and weaken the unity of the empire from within. As for France, it moved from the stage of alliance with the Ottomans against the Habsburgs in the 16th century to the stage of colonial rivalry. It declared itself a protector of Catholics in the East and used missionary, cultural, and educational missions as an instrument of influence. Then it began direct expansion by occupying Algeria in 1830 and intervening in the Levant and Egypt. The two countries competed and sometimes cooperated in internationalizing the Eastern question and presenting it in European conferences, which led to the imposition of reforms, debts, and foreign concessions that weakened Ottoman sovereignty economically and politically, and ended up dividing the legacy of the “sick man” after World War I, where Russian military expansion and French colonial diplomacy were key factors in the overthrow of the Ottoman Empire.

Keywords: Diplomacy, expansion, Russian, French, Ottoman

المقدمة:

تعد روسيا وفرنسا من اهم الدول ذات العلاقة بالشأن العثماني. ولدراسة دور البلدين في اضعاف الدولة العثمانية وسقوطها أهمية في دراسة التاريخ العثماني وتأثير ذلك على الوطن العربي. كونه كان جزء من الدولة العثمانية، وتداخل المصالح الأوروبية في تلك البلاد وهذا ما تبين خلال الحرب العالمية الأولى من معاهدة سايكس بيكو ومحاولة تلك الدول تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية فيما بينها. قسم البحث الى خمسة مباحث تحدث الاول عن الدور الروسي في اسقاط الدولة العثمانية منذ بداية التنافس الروسي العثماني وحتى حرب القرم ، اما الثاني فدرس دراسة الدور الفرنسي في اضعاف الدولة العثمانية حتى حرب القرم باتباع سياسة مختلفة عن السياسة الروسية، اما الثالث فتناول دراسة حرب القرم التي تعد نقطة مفصلية في التاريخ الأوروبي لوقوف دول مسيحية الى جانب الدولة العثمانية لقتال روسيا المسيحية ايضا ، اذ اسقطت تلك الحرب مفهوم الشعارات الدينية التي رفعتها تلك الدول في قتالها للدولة العثمانية ، اما الرابع فتدارست فيه سياسة البلدين تجاه الدولة العثمانية في مرحلة الضعف بعد حرب القرم ولغاية الحرب العالمية الأولى ، وتناول المبحث الخامس دراسة سياسة البلدين تجاه الدولة العثمانية ابان الحرب العالمية الأولى 1914-1918 كونهما كانا ضمن صفوف الحلفاء ضد التحالف الالمانى الصربي العثماني والذي ادى في النهاية الى انهيار وسقوط الدولة العثمانية.

اولاً: الدور الروسي في اسقاط الدولة العثمانية لغاية حرب القرم 1853.

اتبعت الدول الأوروبية منذ بداية نشوء وازدهار الدولة العثمانية سياسة متناقضة حيالها مرتبطة بما تمليه مصالح تلك الدول ، وبسبب اختلاف تلك المصالح انعكس ذلك على اختلاف النظرة لمصير الدولة العثمانية ، ولا سيما بعد مرحلة الضعف التي مرت بها الدولة العثمانية ووضعت خلالها مصيرها بيد تلك الدول.

حاولت روسيا منذ البداية في عهد بطرس الاكبر Peter The Great استغلال ضعف الدولة العثمانية للتوسع على حسابها، اذ هدفت روسيا من تلك المحاولات الوصول الى البحر الاسود ، فقاد بطرس حربه الأولى ضد العثمانيين عام 1695 بحجة الاعتداءات التي يقوم بها التتار في شبه جزيرة القرم ضد روسيا⁽¹⁾، وبعد المكاسب التي حصلت عليها روسيا من حربها ضد الدولة العثمانية اتجهت صوب الدبلوماسية في سياستها فاجبرت الدولة العثمانية على توقيع معاهدة كارلوفت في 26 كانون الثاني 1699 والتي تعد اول معاهدة دولية في تاريخ روسيا⁽²⁾.

وفي عهد كاثرين الثانية (العظيمة) Catharine The Great عادت السياسة الروسية حيال الدولة العثمانية الى سابقها مستهدفة الحصول على اكبر مساحة من الاراضي العثمانية معتمدة على الازمات التاريخية منذ عهد بطرس الاكبر، فضلا عن المسألة البولندية بسبب رفض الدولة العثمانية تدخل روسيا في بولندا بدعم من لدن فرنسا⁽³⁾، وفضلا عن القضية البولندية رفعت كاثرين الثانية شعار تحرير المسيحيين الرازخين تحت سيطرة الدولة العثمانية وطردها من الاراضي الروسية، وبدأت بذلك مشروعها في اواخر عام 1769 الذي ينص على غزو اليونان بتأييد من الكنيسة الارثوذكسية الروسية ووعده اليونانيين بمساعدتهم في حالة ثورتهم ضد العثمانيين⁽⁴⁾.

وبالرغم من الحرب المعلنة بين روسيا والدولة العثمانية التي كانت تحمل شعار الدفاع عن حقوق المسيحيين، الا ان فرنسا ارادت منع الاساطيل الروسية المتوجهة لقتال العثمانيين بيد ان الملك لويس السادس عشر Louis XVI رفض رأي الجنرالات الفرنسيين بسبب تأزم الاوضاع الداخلية في فرنسا⁽⁵⁾.

استطاعت روسيا خلال تلك الحرب عام 1770 من الدخول الى مولدافيا وولاشيا وابعاد العثمانيين الى نهر الدانوب بعد سقوط اغلب القلاع العثمانية فضلا عن سقوط شبه جزيرة القرم بعد الخلافات التي اندلعت بين العثمانيين وحكام القرم من التتار⁽⁶⁾.

حاول العثمانيون تجهيز حملة لاستعادة المناطق التي سيطر عليها الروس خلال الحرب، واستطاعوا ابعادهم من البحر الاسود، غير ان الروس كبدوا العثمانيين خسائر كبيرة الامر الذي دفع الاخيرين الى طلب الهدنة التي انعقدت على اثرها معاهدة كوجك كينارجي⁽⁷⁾.

مثلت معاهدة كوجك كينارجي هدفا في غاية الاهمية بالنسبة لروسيا، اذ استطاعت من خلالها الوصول الى البحر الاسود حيث نص احد بنودها على السماح للسفن الروسية بدخول البحر الاسود لينتهي بذلك عصر السيطرة العثمانية الكاملة على ذلك البحر⁽⁸⁾.

وبعد ان حصلت روسيا على ما ترمي اليه من مكاسب في معاهدة كوجك كينارجي توجهت كاثرتين الثانية الى تحقيق مشروعها الذي اطلقت عليه اسم المشروع اليوناني (وتذكره بعض المصادر باسم المشروع الرومي او المشروع الشرقي) والذي يهدف الى القضاء على الدولة العثمانية وكان هذا المشروع هو اهم هدف الذي دفع كاثرتين الثانية لشن حروبها ضد الدولة العثمانية⁽⁹⁾، اذ ينص المشروع اليوناني على تنصيب حفيد كاثرتين الثانية قسطنطين حاكما على امبراطورية مسيحية تقوم على انقاض الدولة العثمانية تضم الولايات مولدافيا وولاشيا واسبارطة وتكون عاصمتها القسطنطينية ، لذا ركزت كاثرتين الثانية على اثاره مشاعر المسيحيين للثورة ضد العثمانيين في المناطق المذكورة ، وهذا ما حدث فعلا بعد ثورة جبال ابروس ضد الوجود العثماني وتقدم روسيا بالدعم المباشر لهم⁽¹⁰⁾.

وتأكيدا للمشروع الذي ترمي اليه روسيا اقامت كاثرتين الثانية نصباً تذكاريّاً سمي (قوس النصر) في القرم وقامت بزيارته برفقة امبراطور النمسا جوزيف الثاني Joseph II عام 1787 وكتب على النصب (الطريق الى بيزنطة) الامر الذي اثار الجانب العثماني. ونوقشت خلال الجولة الخطط المرسومة للقضاء على الدولة العثمانية وانشاء الامبراطورية المسيحية مما دفع الجانب العثماني الى اعلان الحرب على روسيا⁽¹¹⁾.

استمرت الحرب بين النمسا وروسيا من جهة والدولة العثمانية من جهة اخرى وسط خسائر كبيرة للجانب العثماني في الارواح والمناطق التي فقدتها لصالح الروس والنمساويين⁽¹²⁾، ولو قدر للحلف الروسي النمساوي الاستمرار في الحرب لثم القضاء على الدولة العثمانية بشكل كامل بعد الخسائر التي تكبدتها في قواتها البرية والبحرية ، الا ان اطماع جوزيف الثاني في الحصول على صربيا والبوسنة وولاشيا باءت بالفشل بعد وفاته واعتلاء العرشي النمساوي من قبل ليوبولد Leopold في شباط 1790 الذي تمتع بسياسة تختلف عن سياسة سلفه جوزيف الثاني⁽¹³⁾.

اثرت سياسة ليوبولد في توجهات روسيا اذ انسحب من حلفه معها وعقد مؤتمر راينباخ مع روسيا في 16 تموز 1790 الذي نص على الحفاظ على الاوضاع على ما كانت عليه قبل اندلاع الحرب ، وترك روسيا وحدها بمواجهة الدولة العثمانية بعد ان رفضت كاثرتين الثانية الموافقة على عقد صلح مع الدولة العثمانية وفقاً لمبدأ الحفاظ على الاوضاع على ما كانت عليه قبل الحرب⁽¹⁴⁾. وبعد ان امنت روسيا جبهتها الغربية مع السويد استأنفت حربها ضد الدولة العثمانية التي الحققت بقواتها هزائم كبيرة في شهر اب 1790 وفقدت البحرية العثمانية الكثير من قاداتها⁽¹⁵⁾.

نتيجة لتلك الانتصارات التي حققتها روسيا ضد الدولة العثمانية عاد المشروع اليوناني الى مخيلة الامبراطورة كاثرتين الثانية بعدما ان قدم اليونانيون طلباً عام 1790 الى كاثرتين الثانية بجعل حفيدها قسطنطين ملكاً عليهم ، واقترح اليونانيون على الامبراطورة خطة يشارك بها 300 الف جندي لاحتلال العاصمة العثمانية اسطنبول وانهاء الدولة العثمانية وابعاد خطرهما عن اوربا ، الا ان المساعدات الروسية لم تكن بالمستوى المطلوب فانتهت الخطة اليونانية بعقد صلح ياسي عام 1791⁽¹⁶⁾.

بالرغم من فداحة الخسائر التي مني بها الجانبان الروسي والعثماني في تلك الحرب الا ان ما حصلت عليه روسيا من اراض على حساب الدولة العثمانية لم يكن يتلائم مع حجم الخسائر المقدمة ، ففي المفاوضات المباشرة التي جرت بين الطرفين في تموز 1791 تمهيدا لعقد صلح ياسي وافقت روسيا على اعادة مولدافيا الى الدولة العثمانية والعودة الى شروط معاهدة كوجك كينارجي⁽¹⁷⁾.

وبعد عقد صلح ياسي تخلت روسيا عن مشروعها الهادف الى اسقاط الدولة العثمانية واقامة دولة مسيحية بقيادة قسطنطين وذلك بسبب تطورات الاوضاع في اوربا ووقوف بروسيا وانكسارها ، مما دفعها للتخلي عن حلفائها اليونانيين تاركة قائد الاسطول اليوناني لامبرو كانزونس بمواجهة الاسطولين العثماني والجزائري في ايار 1792 مما ادى الى تدمير الاسطول اليوناني بالكامل وهرب قائده الى جبال البانيا⁽¹⁸⁾، غير ان التوتر بين الروس والعثمانيين عاد مجددا بسبب القضية البولندية والتدخل العثماني فيها لاسيما بعد اللقاء الذي جمع الباب العالي مع ممثل المهاجرين البولنديين في حزيران 1796⁽¹⁹⁾.

لذا ايقنت روسيا انه لا مجال الى تنفيذ مشروعها الرامي الى انتهاء الدولة العثمانية الا بموافقة الدول الاوربية الاخرى فوافقت كاثرتين الثانية على الدخول بحلف ضد فرنسا مع انكلترا والنمسا مقابل السماح بتنفيذ مشروعها المذكور الا ان وفاة كاثرتين الثانية في تشرين الثاني 1796 قلب الموازين⁽²⁰⁾.

اعتلى العرش الروسي عقب وفاة كاثرتين الثانية ابنها بافل الاول Paul I الذي الغى العديد من الاجراءات التي اتخذتها والدته واعلن سياسة الحياد والغى الاستعدادات الخاصة بالتدخل ضد فرنسا بالرغم من كرهه للثورة الفرنسية، اذ استضاف بافل المليكين الهاربين من الثورة الفرنسية واسكنهم في اوكرانيا مما ادى الى توتر الاوضاع بين البلدين ، وقد توج ذلك التوتر باحتلال فرنسا لمصر في 1798⁽²¹⁾.

انعكست الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte على مصر عام 1798 بشكل ايجابي على العلاقات الروسية العثمانية اذ لم تكن روسيا ترغب بسيطرة فرنسا على مصر وبالتالي سيطرتها على البحر المتوسط وهذا الامر ايضا بالنسبة لبريطانيا التي لم ترغب بسيطرة فرنسا على طريق الهند.

لذا عقدت روسيا والدولة العثمانية وبريطانيا في 21 اذار 1800 اتفاقية ، وقاتل الجيشان الروسي والعثماني معاً واحتلا جزر ايونيا وموانئ ابير المسيطر عليها من قبل فرنسا واعطت روسيا وارادات تلك المناطق للدولة العثمانية⁽²²⁾، كما نصت الاتفاقية الروسية العثمانية على تزويد روسيا للدولة العثمانية بالاسلحة مقابل السماح للاسطول الروسي بالمرور في المضائق العثمانية ، وترسخت لدى الاوساط الحاكمة في روسيا المقولة "ان ابقاء الدولة العثمانية ضعيفة مجاورة لروسيا افضل من انهيارها" ورفع الامبراطور الروسي شعار "حصانة الدولة العثمانية"⁽²³⁾.

اثمرت الحملة الفرنسية على مصر تغيير سياسة روسيا تجاه الدولة العثمانية وابعادها عن اوربا واحتلال عاصمتها لاقامة دولة مسيحية تابعة لها ، وباتت ترغب في بقائها الى جوارها ولكن كدولة ضعيفة من اجل التوسع على حسابها في البلقان.

الا ان هذا الوئام في العلاقات الروسية العثمانية لم يستمر فقد استغلت روسيا الضعف الذي اصاب الدولة العثمانية والذي ترافق مع حالات تمرد الولايات، اذ اندلعت انتفاضات عام 1803 في مكة والمدينة المنورة وتمرد الوالي احمد باشا الجزائر في دمشق وانتشار عصابات الكيرالية في بلغاريا بدعم قومي روسي فضلا عن اعمال الانكشارية ضد الصرب والتي ولدت انتفاضة في صربيا ايضا بدعم روسي⁽²⁴⁾.

حاول الصرب بعد اندلاع انتفاضتهم ضد الانكشارية بالتوجه الى النمسا للحصول على دعمها وطلبوا منها تزويدهم بالاسلحة والسماح لعوائل الثوار الصرب باللجوء اليها⁽²⁵⁾، في الوقت ذاته كانت الاوضاع الدولية غير مؤاتية بالنسبة للنمسا في مساندة الثوار الصرب ضد الوجود العثماني لاسباب اهمها عدم رغبة النمسا بتوتر علاقتها مع الدولة العثمانية، وعدم الاضرار بالتجارة النمساوية التي كانت تعتمد في تلك الفترة على الاقاليم العثمانية، كما انها خشيت من امتداد تلك الثورة الى الاراضي النمساوية بسبب وجود جاليات صربية في النمسا وخوفها من تاليب النمساويين ضد ال هابسبرغ كما ان النمسا لم تكن ترغب في الاخلال بالاوضاع العامة الاوربية ، ولاسيما مع تزايد خطر نابليون بونابرت لذا ابلغت النمسا الثوار الصرب بعدم استطاعتها تقديم المساعدات لهم⁽²⁶⁾.

في الوقت نفسه رأت روسيا ان الفرصة مؤاتية لدعم الثوار الصرب والتدخل في منطقة البلقان ، وقد اتخذ الروس من طلب ممثلي الثوار الصرب الوساطة بينهم وبين الباب العالي لمنحهم الحكم الذاتي ودفع الاتاوة السنوية للدولة العثمانية⁽²⁷⁾، اذ رغبت روسيا في السيطرة على منطقة البلقان وابعاد خطر غزو فرنسي محتمل ، لذا رأت ان افضل وسيلة لذلك هو التعاون مع العدو التقليدي لروسيا وهو بريطانيا من اجل تحقيق هدفها⁽²⁸⁾.

لذا حاول الامبراطور الروسي الاسكندر الاول Alexander I اقناع الدولة العثمانية منح بعض مناطق البلقان استقلالاً ذاتياً واسعاً غير ان الجانب العثماني رفض ذلك مما دفع الثوار الصرب الى رفع مطالبهم الى الاستقلال التام عن الدولة العثمانية وبدعم من روسيا، واستقبلت روسيا اعضاء من الثوار الصرب ونصحتهم بالاستمرار بالقتال وعدم القاء السلاح ووعدهم بتقديم الدعم الدبلوماسي لهم⁽²⁹⁾.

كما رفعت روسيا شعار تحسين احوال الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية. ومن اجل ذلك الهدف عقدت اجتماعات بين الجانب الروسي والعثماني لمناقشة السياسة المعتمدة تجاه الدولة العثمانية وتم اقتراح انشاء جمهوريتين في البلقان تحت اشراف روسيا والدولة العثمانية على غرار ايونيا ، غير ان بريطانيا رأت ان النشاط الروسي في البلقان يشكل تهديد لمصالح بريطانيا في اوربا⁽³⁰⁾.

فضلا عن ذلك ارادت روسيا استغلال تطور العلاقات الفرنسية العثمانية والموقف الاوربي المضاد لفرنسا من اجل احتلال مناطق اخرى من الاراضي العثمانية ، فقدم السفير الروسي في اسطنبول انذارا الى الحكومة العثمانية مفاده ان روسيا عازمة على احتلال امارتي مولدافيا وولاشيا ، وفي خطوة تصعيدية من قبل الجانب الروسي توجه الاسطول الروسي في 1805 للسيطرة على منطقة كوتور في الجبل الاسود ، الامر الذي دفع الباب العالي الى استغلال التهديد الروسي لالغاء الاتفاقية الموقعة بين الطرفين في ايلول من العام ذاته والتي نصت على السماح للسفن الروسية بالمرور في المضائق العثمانية وارسل في 14 نيسان 1806 وزير الخارجية العثماني واصف افندي رسالة الى السفير الروسي في اسطنبول ابلغه بايقاف مرور البوارج الروسية الحربية لانه يتنافى مع حيادها في الصراع الروسي الفرنسي⁽³¹⁾.

دعمت روسيا موقفها على الساحة الاوربية في شباط 1815 عبر الاقتراح المقدم من قبل السفير الروسي بنكوين حلف ضم الى جانبه بروسيا والنمسا واستند للحفاظ على الوضع في اوربا استنادا الى تعاليم الدين المسيحي لذا اطلق عليه تسمية (الحلف المقدس)⁽³²⁾.

استعملت روسيا ذريعة حماية المسيحيين الارثوذكس من رعايا الباب العالي للتوسع على حساب الدولة العثمانية⁽³³⁾، ولا سيما بعد ان رأى الصرب الثائرين ضدها ان الاخيرة في طريقها للزوال وان عليهم الاعتماد على انفسهم كي لا يقعوا ضحية الصراع بين النمسا وروسيا⁽³⁴⁾، اي ان روسيا بدأت بالبحث عن موطئ قدم اخر في البلقان غير صربيا.

لذا عاد الروس لتقديم الدعم الى اليونانيين للقيام بثورة ضد الوجود العثماني تحت الذريعة ذاتها وهي حماية المسيحيين الارثوذكس ، والسبب الحقيقي وراء توجه روسيا صوب اليونان هو حاجتها للممرات المائية بعد اغلاقها من قبل الدولة العثمانية ، كما ان واردات روسيا من الحبوب تعتمد بشكل كبير على الموانئ اليونانية في اوديسا على البحر الاسود وتتنقل تلك المواد عبر السفن اليونانية⁽³⁵⁾.

ومن اجل تحقيق ذلك الهدف اسست روسيا عبر الجالية اليونانية في روسيا جمعية (هيتري)، اي الجمعية الوطنية اليونانية والتي رفعت شعار استقلال اليونان والانتقام من الدين الاسلامي وقدمت روسيا كامل الدعم لتلك الجمعية التي اخذت تنمو ويزداد عدد اعضائها واصبحت برئاسة (الكسندر ايبسيلانتي). وبدخوله الى الاراضي اليونانية اندلعت الثورة في 12 شباط 1821 بدخول 10 الف مقاتل من جزيرة المورة بقيادة جيرمانوس ، وفي نيسان من العام نفسه سيطر الثوار على ميناء انابولي شمال شرق المورة واتخذوه مركزا للقيادة⁽³⁶⁾، اذ كانت روسيا تريد من تلك الثورة الحصول على المزيد من الاراضي من الدولة العثمانية ولاسيما في البلقان بعد ان ايقنت روسيا ان الدولة العثمانية باتت في وضع متدهور غير ان سياستها كانت دائما ما تلاقي الاخفاق بسبب تدخل الدول الاوربية⁽³⁷⁾.

استمرت الثورة اليونانية في التوسع بمناطق عديدة ملحقة هزائم بالقوات العثمانية واستعمل الطرفان ابشع الوسائل في استهداف المدنيين والعزل ، ولم تستطع قوات الانكشارية من اخماد الثورة اليونانية مما دعا الباب العالي للاستعانة بوالي مصر محمد علي باشا للقضاء على الثورة اليونانية عام 1824⁽³⁸⁾.

وبالرغم من محاولات النمسا للتوسط لدى روسيا لتهدة الاوضاع في اليونان وذلك عبر زيارة المستشار النمساوي مترنيخ الى روسيا ولقائه بالقنصل الاسكندر الاول ، لان الثورة اليونانية ستفتح الباب امام ثورات اخرى ضد باقي الدول الاوربية ، وكانت مخاوف النمسا تزداد بسبب اشتراكها في قمع الثورة الايطالية انذاك⁽³⁹⁾.

استجاب محمد علي لطلب السلطان محمود الثاني وابحرت السفن المصرية بقيادة ابراهيم باشا نجل محمد علي لمساعدة الاسطول العثماني بقوة تقدر حوالي 16 الف جندي نظامي و250 ناقلة و613 سفينة مسلحة⁽⁴⁰⁾، واستطاعت القوات المصرية والقوات العثمانية تحقيق انتصارات كبيرة على اليونانيين ودخلت قوات ابراهيم باشا اثينا وعدد من المدن اليونانية ، الامر الذي دفع الدول الاوربية الى الشعور بخطورة محمد علي ولاسيما بعد اخفاق محاولة الاتصال بينه وبين بريطانيا ،

فضلا عن التطورات التي جرت في فرنسا بعودة اسرة ال بوربون الى الحكم الامر الذي وضع محمد علي باشا بموقف صعب لانه كان يامل بدعم فرنسي بسبب ان اغلب مستشاريه هم من الضباط الفرنسيين⁽⁴¹⁾.

ابتدت بريطانيا في بداية اندلاع الثورة اليونانية امتعاضها من الاعمال التي يقوم بها الثوار اليونانيون وابتدت تقديم المساعدة للدولة العثمانية من اجل انتهاء تلك الثورة⁽⁴²⁾، الا ان الموقف البريطاني تغير وذلك خشية من ان تحل روسيا القضية اليونانية وفق سياستها، لذا دفعت شاه ايران في 16 تموز 1826 الى اعلان الحرب على روسيا مستغلا الاضطرابات التي حدثت في اوكرانيا عقب وفاة الامبراطور الروسي الاسكندر الاول ومن اجل فتح جبهة لروسيا لاشغالها عن القضية اليونانية⁽⁴³⁾.

اثمرت الاعمال البريطانية المضادة لروسيا الى دفعها للاستعانة بالدول الاوربية ببريطانيا وفرنسا وعقد معاهدة لندن في 6 تموز 1827 للتدخل بفرض حصار بحري وانشاء دولة يونانية تتمتع بالحكم الذاتي تحت سيادة السلطان العثماني⁽⁴⁴⁾.

اندلعت على اثر ذلك التحالف معركة نافارين في 10 تشرين الاول 1827 بين قوات ابراهيم باشا والقوات العثمانية المساندة لها من جهة والقوات الاوربية من جهة اخرى والتي انتهت بهزيمة كبيرة لقوات ابراهيم والقوات العثمانية⁽⁴⁵⁾.

اتهمت الدولة العثمانية روسيا بتدبير الامر واعلنت في تشرين الثاني من العام ذاته الغاء ميثاق كرماني الذي عقد بين الطرفين عام 1826 ، وفي 22 شباط 1828 اعلن السلطان محمود الثاني اغلاق المضائق بوجه السفن الاجنبية الامر الذي ادى الى تازم الاوضاع بين روسيا والدولة العثمانية⁽⁴⁶⁾. وبالرغم من اشتراك فرنسا وبريطانيا في معركة نافارين الا ان الجانب العثماني رآها انها كانت في اطار التسوية للمسالة اليونانية ، وجاءت عقب رفض الجانب العثماني للمطالب الاوربية ، ورأت في ان فرنسا وبريطانيا لا ترغبان في اعلان الحرب على الدولة العثمانية وتاكيدا لذلك جاء كلام رئيس الوزراء البريطاني دوق ولنجتون في 29 كانون الثاني 1828 الذي وصف معركة نافارين بالحدث المشؤوم. واعرب عن امله ان لا تتكرر تلك الحادثة واستعمال القوة ضد الدولة العثمانية . من جانبها استغلت روسيا موقف السلطان محمود الثاني منها الذي اتهمها بانها تعادي الدولة العثمانية لاسباب دينية وليس لاسباب سياسية ، جاء ذلك في اجتماع له مع كبار رجال الدولة وعرض عليهم منشورات وزعت في روسيا تحرض على الانتقام من الاسلام ، لذا اعلن في خطبة الجمعة الجهاد المقدس ضد روسيا⁽⁴⁷⁾.

جاء اعلان الحرب العثمانية على روسيا بتوقيت خاطئ اذ ان الاسطول العثمانية كان مدمرا بشكل كبير في معركة نافارين في اليونان فضلا عن توتر العلاقات بين السلطان محمود الثاني ووالي مصر محمد علي باشا الذي فقد جزء كبير من اسطوله في المعركة ذاتها ، لذا استغلت روسيا تلك الاحداث للعودة الى اطماعها القديمة والحصول على المزيد من الاراضي العثمانية⁽⁴⁸⁾.

اعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في نيسان 1828، وفي الوقت ذاته اعلنت حياذ بحر ايجة وذلك من اجل تطمين الدول الاوربية الاخرى حول المضائق وعدم استفزازها على امل تقديم المساعدة في حربها مع روسيا⁽⁴⁹⁾.

حقق الروس انتصارات كبيرة واستطاعوا احتلال مناطق عديدة في جبهة القفقاس. ووصلت قواتهم الى ارضروم وطرابزون وسط تراجع كبير للقوات العثمانية ، الامر الذي اثار قلق بريطانيا وبروسيا وفرنسا مما دفعهم للتدخل لاييقاف تقدم القوات الروسية⁽⁵⁰⁾.

ان تدخل الدول الاوربية لاييقاف الحرب العثمانية الروسية جاء بسبب خشية فرنسا من تمكن روسيا من احتلال الدولة العثمانية وانهاهاها بشكل كامل ، لذا قدمت فرنسا مشروعا لروسيا يقضي باقتسام الدولة العثمانية واعادة ترسيم حدود الدول الاوربية ، كما ان بريطانيا رأت ان روسيا تحاول الانفراد باليونان والدولة العثمانية وحل تلك المسائل وفق سياستها، فضلا عن تدخل الدول الاوربية كانت روسيا ايضا راغبة في ايقاف حربها ضد العثمانيين وذلك بسبب الامراض التي نكشت في صفوف الجيش الروسي فضلا عن وجود 30 الف مقاتل عثماني تحصنوا داخل اسطنبول لذا قررت التوصل الى معاهدة سلام دون احتلال الاراضي العثمانية بشكل كامل ، فتم التوصل الى عقد معاهدة ادرنة في 14 ايلول 1829⁽⁵¹⁾.

اعترفت الدولة العثمانية خلال معاهدة ادرنة بالاراضي التي حصلت عليها روسيا في الحرب ومن ضمنها الساحل الشرقي للبحر الاسود فضلا عن اراض عديدة في القفقاس والدانوب ، كما حصلت صربيا في العام التالي من المعاهدة على الحكم الذاتي ومنحت اليونان الاستقلال بشكل كامل⁽⁵²⁾.

وفي تلك الاثناء تازمت الاوضاع بين بين الدولة العثمانية ومحمد علي باشا مما دفع الاخير الى الزحف بقواته صوب الدولة العثمانية مستغلا حالة الضعف التي تمر بها ، الامر الذي دفع السلطان محمود الثاني لطلب المساعدة من روسيا لايكاف تقدم محمد علي صوب العاصمة اسطنبول ، فارسل الامبراطور نيقولا الثاني Nicolai II قواته لحماية العاصمة اسطنبول ، وبزوال الخطر المصري استغل السفير الروسي تلك الحادثة ليعرض على الدولة العثمانية معاهدة هنكار اسكلسي عام 1833 والتي نصت على غلق المضائق بوجه الدول المعادية لروسيا⁽⁵³⁾ وفي عام 1839 عاد التوتر من جديد بين محمد علي والسلطان محمود الثاني بعد ان اعلن محمد علي استقلاله عن الدولة العثمانية عام 1838 وزحف مرة اخرى صوب الاراضي العثمانية ومما زاد في تعقيد الاوضاع على الدولة العثمانية هو وفاة السلطان محمود الثاني واعتلاء ابنه الصغير سناً عبد المجيد الذي كان تحت الوصاية⁽⁵⁴⁾، الامر الذي دفع الدول الاوربية الى انقاذ الدولة العثمانية خشية من تكرار ما حدث عام 1833 وانفراد روسيا بالسيطرة على الدولة العثمانية، فاستطاعت الدول الاوربية من هزيمة القوات المصرية وفرض معاهدة لندن على محمد علي باشا في 15 تموز 1840 ، واصبحت الدولة العثمانية تحت رعاية الدول الاوربية بدلا من روسيا فقط⁽⁵⁵⁾.

في الاطار ذاته وصف قيصر روسيا عام 1844 الدولة العثمانية برجل اوربا المريض وطرح فكرة اقتسام الاراضي العثمانية مع بريطانيا ، وفي 1848 اتخذ مجلس الوزراء الروسي قرارا عد فيه بولندا والدولة العثمانية قضيتان مهمتان لروسيا⁽⁵⁶⁾.

ثانيا: الدور الفرنسي في اسقاط الدولة العثمانية حتى حرب القرم 1853.

تعود الاتصالات الاولى بين الدولة العثمانية وفرنسا الى عهد السلطان سليمان القانوني حينما استنجد الملك الفرنسي فرانسوا الاول بهذه الدولة اثر تهديدات شارل الخامس ملك اسبانيا بسبب الصراع بين الطرفين حول قيادة الامبراطورية الرومانية المقدسة لاسيما بعد تنصيب شارل الخامس ملكا عليها ، لذا رأى فرانسوا الاول ان الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة التي بإمكانها الحد من قوة شارل الخامس⁽⁵⁷⁾.

اقتنع سليمان القانوني بان التحالف مع فرنسا سينعش الاهمية الاستراتيجية للبحر المتوسط كمر تجاري بعد سيطرة البرتغاليين على طريق راس الرجال الصالح ، كما ان فرانسوا الاول لم يكتف بمراسلات وسفراء بل اراد توقيع اتفاقية تضمن التحالف بين فرنسا والدولة العثمانية والحصول على امتيازات مهمة ، فتم التوقيع على اول اتفاقية بين الطرفين في نيسان 1535 شملت تلك الاتفاقية امتيازات مهمة للفرنسيين في الدولة العثمانية اهمها:

1- حرية ممارسة التجارة للرعايا الفرنسيين داخل الدولة العثمانية.

2- تساوي دفع الضرائب بالنسبة للعثمانيين في فرنسا والفرنسيين في الدول العثمانية.

3- انشاء فرنسا قنصليات في الدولة العثمانية.

4- منح الحصانة للسفير الفرنسي والعاملين في السفارة الفرنسية في اسطنبول.

5- حرية ممارسة الديانة للرعايا الفرنسيين.

6- حماية الرعايا الفرنسيين.

7- عدم محاكمة أي شخص فرنسي الا بحضور مترجمه الخاص الفرنسي.

8- حرية التنقل في المياه العثمانية بسفن مسلحة وغير مسلحة.

9- من حق القنصل الفرنسي النظر بالقضايا التي يكون احد طرفها من رعايا فرنسا⁽⁵⁸⁾.

دفعت الهزائم التي تعرض لها الجيش العثماني وانحسار القوة العثمانية في شرق اوربا الى اعادة النظر بالنظام القائم كما دفع السلاطين العثمانيين للاستفادة من التطور الاوربي لاسيما في المجالات العسكرية ، لذا كانت هناك رغبة متبادلة بين

العثمانيين والفرنسيين في اعادة العلاقات فبعث الملك لويس الرابع عشر سفيره الى اسطنبول لمقابلة السلطان مصطفى الثاني وسلمه رسالة من الملك لويس اكد فيها روطب الصداقة بين البلدين⁽⁵⁹⁾.

رغم ذلك لم يطرأ تغيير ايجابي على الامتيازات الفرنسية، الا ان السفير الفرنسي نجح في اقناع السلطان مصطفى الثاني بالهجوم على روسيا بحجة اعادة هبة الدولة العثمانية بعد الهزائم التي تعرضت لها امام النمسا ، فاستطاع الجيش العثماني هزيمة الروس في 1715، تبعة هجوم اخر على البندقية في العام ذاته استطاع العثمانيون فيه من تحقيق انتصارات بمساعدة فرنسية⁽⁶⁰⁾.

وبعد اعتلاء السلطان احمد الثالث ارسل مبعوثه الخاص الى الملك لويس الخامس عشر فاخذت العلاقات بين الطرفين تنحى نحو دبلوماسية اذ اخذ الجانبان يتبادلون السفراء فيما بينهم ، ولعب السفير الفرنسي في اسطنبول دور الوساطة بين الدولة العثمانية وروسيا لتوقيع صلح 1724⁽⁶¹⁾، الا ان توقيع الروس معاهدة فيينا 1725 وضع السفير الفرنسي في موقف محرج فتوترت العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا مجددا⁽⁶²⁾.

وما زاد حدة التوتر بين الطرفين هو قيام الصدر الاعظم ابراهيم باشا بسجن احد القناصل الفرنسيين، فرد الاسطول الفرنسي بقصف مدينة طرابلس الغرب . حاولت بريطانيا استغلال الازمة من خلال طرح مشروع مشترك لحل القضايا العثمانية واقامة علاقات مشتركة مع روسيا والنمسا ، غير ان قيام الثورة الانكشارية في 1730 ووصول محمود الاول الى سدة الحكم اعاد سياسة التقارب مع فرنسا⁽⁶³⁾.

نشبت صراع بين الدولة العثمانية وروسيا والنمسا حول ممالك بولندا ، وحاولت فرنسا استخدام الوسائل الدبلوماسية لمساعدة العثمانيين، اذ حاول السفير الفرنسي لعب دور الوساطة بين روسيا والدولة العثمانية ، كما دعمت فرنسا الموقف العثماني في صلح بلغراد. وردا للجميل ارادت الدولة العثمانية تجديد الامتياز الفرنسي في 28 ايار 1740 وفي يوم توقيع الاتفاق اقيمت احتفالات في باريس واسطنبول ، ومن اجل توطيد العلاقات اكثر ارسل السلطان محمود الاول مبعوثه الى الملك لويس الخامس عشر الذي استقبل بحفاوة من لدن الملك⁽⁶⁴⁾.

بلغت العلاقات العثمانية الفرنسية ذروتها في عهد محمود الاول، اذ كان لتلك العلاقات اثر في الاصلاحات التي جرت في الدولة العثمانية، اذ بدأ الاهتمام باصلاح الجيش وصناعة المدافع والذخائر⁽⁶⁵⁾.

لم تنس فرنسا مساعدتها للعثمانيين في صلح بلغراد فحاولت استثمار تلك المساعدة في اقامة حلف ثلاثي مع الدولة العثمانية وبروسيا للوقوف ضد الحلف الروسي النمساوي بعد خسارتها لمصالحها في بولونيا ، الا ان الفرنسيين كعادتهم نقضوا اتفاقهم وعقدوا معاهدة مع النمسا في 1756، الامر الذي اقلق السلطان العثماني عثمان الثالث بالرغم من وجود بند في المعاهدة النمساوية الفرنسية ينص على التزام فرنسا الحياد في حالة اندلاع حرب بين النمسا والدولة العثمانية ، ومما زاد التوتر في العلاقات بين الطرفين هو ازدياد نفوذ بريطانيا وبروسيا داخل الدولة العثمانية. وعلى الرغم من الجهود التي بذلها حاول الملك لويس الخامس عشر لاعادة الوئام بين فرنسا والدولة العثمانية الا انه اخفق في ذلك⁽⁶⁶⁾.

اندلعت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا في 1768 وتلقت الجيوش العثمانية هزائم كبيرة، الامر الذي اوصل الاسطول الروسي لأول مرة الى البحر المتوسط مهددا العاصمة اسطنبول ، فتدخل البارون الفرنسي دي توت الذي قام باعادة تنظيم الجيش العثماني وتحسين الدردنيل ونجح في انقاذ العاصمة اسطنبول⁽⁶⁷⁾.

انتهت الحرب العثمانية الروسية بتوقيع معاهدة كوجك كينارجي في 1774، وبمقتضى المعاهدة اصبح للروس حرية التنقل في المضائق العثمانية وحصلوا على امتيازات اخرى منها بناء كنيسة ارثوذكسية في العاصمة اسطنبول⁽⁶⁸⁾.

اعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا بعد ان رأت الاثار الوخيمة لمعاهدة كوجك كينارجي وحاولت الدولة العثمانية الحصول على الدعم الفرنسي، الا ان فرنسا اخذت الحياد بسبب المشاكل الداخلية التي تمر بها قبيل اندلاع الثورة الفرنسية فضلا عن رفض الراي العام الفرنسي التحالف مع العثمانيين ضد الروس تحقيقا لمبدأ الاولوية للمسيحية⁽⁶⁹⁾.

بعد اندلاع الثورة الفرنسية ووصول حكومة الجمهورية الى فرنسا بدأت السياسة الفرنسية تتغير في كثير من الاتجاهات، فعقدت معاهدة كومبو كورميو مع بريطانيا الا انها خرقتة حينما جهزت جيش اسمته (جيش انكلترا) لمقاتلة بريطانيا

بقيادة الجنرال نابليون بونابرت في 1796 وبعد مداولات بين حكومة الجمهورية الفرنسية وقائد الحملة على انكلترا الجنرال نابليون اقترح الاخير ببداية 1798 على حكومته ان الهجوم على بريطانيا امر مستحيل لانه سيوقع خسائر فادحة في الاسطول الفرنسي ويمكن ضرب المصالح البريطانية من خلال احتلال مصر واقامة دولة فرنسية هناك والتي سيكون لها شأن في قطع طريق الهند على بريطانيا⁽⁷⁰⁾.

رأت حكومة الادارة ان ما تطرق له نابليون هو من مصلحة فرنسا لاسيما وانه يتوافق مع ما راه تاليران قبل سنة من اقتراح نابليون بضرورة السيطرة على المقاطعات العثمانية في اوربا فضلا عن تلك المطلة على البحر المتوسط ولاسيما مصر ، كما ان حكومة الادارة بدأت مخاوفها من طموحات الجنرال نابليون في فرنسا وارادت ابعاده عن البلاد⁽⁷¹⁾.

وعشية قيادته الحملة قرأ نابليون عدة كتب حول المشرق مثل رحلة فولتير، فضلا عن ان فرنسا كانت على دراية باحوال مصر بسبب الرحالة الفرنسيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر⁽⁷²⁾.

ابحر الاسطول الفرنسي بقيادة نابليون من ميناء طولون الفرنسي في 19 ايار 1798، والذي تكون من 450 سفينة و 60 الف جندي فرنسي فضلا عن لجنة العلوم والفنون التي اصطحبها نابليون معه، باتجاه جزيرة مالطا التي استسلمت له فترك فيها 6000 جندي فرنسي وتوجه نحو مصر ودخلها في تموز 1798. امر نابليون جنوده عند وصوله الاسكندرية احترام مشاعر المسلمين وهدد باعدام أي جندي يقوم باعمال سلب ونهب للمصريين ، وارسل رسالة الى حاكم مصر اوضح فيها ان سبب مجيئه هو معاقبة المماليك الذي اهانوا التجار الفرنسيين ، وتعهده بعدم الاضرار بالبلاد او سكانها⁽⁷³⁾.

زحف نابليون بقواته صوب القاهرة وهزم المماليك في معركة الاهرام 21 تموز 1798، واستطاع دخول المدينة في 27 تموز من العام ذاته ، وعلن حين دخوله انه لم يات غازيا لمصر بل جاء حليفا للسلطان العثماني لمحاربة المماليك العاصين لاوامر الباب العالي⁽⁷⁴⁾.

حاولت حكومة الادارة بشتى الوسائل الحصول على الحجج في محاولة لاقتناع العثمانيين بالحملة على الفرنسية على مصر ، اذ حاول السفير الفرنسي في اسطنبول قبيل بدء الحملة بشهر ايصال رسالة الى الباب العالي بان مصر لم تعد تحت السيادة العثمانية، وان الوالي العثماني اصبح تحت سيادة المماليك⁽⁷⁵⁾. كما ارسلت حكومة الادارة مبعوثا الى الصدر الاعظم يخبره ان هدف الحملة ليس اعتداء على الدولة العثمانية بل لمعاقبة المماليك ، وهذا ما تحدث به تاليران الذي ادعى ان هدف الحملة هو حماية الدولة العثمانية، واذاف ان الاسطول الفرنسي سيعمل الى جانب الاسطول العثماني بعد استرداد السيادة العثمانية على مصر للانطلاق لاعادة الاراضي العثمانية التي استولت عليها روسيا ، كما اكد انه مستعد للذهاب بنفسه الى اسطنبول لاقتناع السلطان سليم الثالث بالحملة الفرنسية على مصر⁽⁷⁶⁾.

كانت الدولة العثمانية مترددة في اتخاذ موقف من الحملة الفرنسية بقطع العلاقات مع فرنسا او محاولة الاقتناع بالحجج الفرنسية نظرا لما تمر به الدولة العثمانية من حالة ضعف. ادت الحملة الفرنسية الى احداث فوضى عارمة داخل الدولة العثمانية اذ تمت اقالة الصدر الاعظم عزت محمد باشا وتعيين كور يوسف باشا وبقيت الاوضاع على ما هي عليه في اول ايام الحملة اذ لم تتخذ الدول العثمانية أي اجراء بحق فرنسا⁽⁷⁷⁾.

اصبحت مدينة اسطنبول مركزا للتحرك الدبلوماسي، اذ حاول السفير الفرنسي تهدئة السلطان سليم الثالث والصدر الاعظم كور يوسف باشا واقناعهم بالذرائع الفرنسية . اما السفير البريطاني والروسي اللذان عملا على اقناع السلطان باعلان الحرب على فرنسا⁽⁷⁸⁾.

تعرض الاسطول الفرنسي في بداية اب 1798 بالاسكندرية الى هزيمة على يد الاسطول البريطاني في معركة ابي قير ، دفعت الهزيمة التي تعرض لها الاسطول الفرنسي السلطان سليم الثالث الى اعلان الحرب على فرنسا في ايلول من العام ذاته ، وتم اعتقال السفير الفرنسي في اسطنبول وصودرت الاملاك الفرنسية. وتم اعتقال عدد من الرعايا الفرنسيين واعلنت الدولة العثمانية ان هؤلاء الرعايا سيعاملون معاملة اسرى حرب⁽⁷⁹⁾.

اعلن السلطان سليم الثالث عن اسباب اعلانه الحرب على فرنسا ، كما بدأت القوات العثمانية بالتحضر برفقة القوات البريطانية بقيادة مصطفى باشا للهجوم على القوات الفرنسية في مصر ، بعد ذلك اعلن داي الجزائر وباي تونس وحاكم طرابلس الحرب على فرنسا ، كما ثارت مالطا على الحماية الفرنسية فيها⁽⁸⁰⁾.

حاول نابليون بعد ان دمر اسطوله في معركة ابي قير و اعلان الدولة العثمانية الحرب عليه الاتصال بالصدر الاعظم واقناعه بعدم الهجوم على مصر، الا انه اخفق في ذلك ، كما ارسل القنصل الفرنسي في مسقط الى اسطنبول مع الحامية العثمانية التي كانت موجودة في مصر وحاول اقناع الصدر الاعظم بعدم شن هجوم على مصر هدف الحملة هو الحفاظ على امن الدولة العثمانية من تقسيمها من لدن روسيا والنمسا وبريطانيا⁽⁸¹⁾.

دخلت الدولة العثمانية بمعاهدة دفاعية مع روسيا في 23 كانون الاول 1798 نصت على ان الحلف دفاعي ، كما تم تجديد معاهدة ياسي والتي اتفق الطرفان فيها سيادة العثمانية على ممتلكاتها بما في ذلك مصر . كما تعهدت روسيا بان تمد الدولة العثمانية باثنتي عشرة قطعة بحرية واذا تطلب الامر فان خمسا وسبعين الف جندي روسي سيكون تحت القيادة العثمانية ، تلا ذلك انضمام بريطانيا الى الحلف الروسي العثماني في 2 كانون الثاني 1799 وتعهدت بريطانيا بمساعدة الدولة العثمانية لضرب القوات الفرنسية⁽⁸²⁾.

على الرغم من محاصرة الاسطول العثماني والبريطاني لمصر الا ان نابليون فكر بمهاجمة القوات العثمانية قبل ان تصل الى مصر فغزا بلاد الشام وسيطر على غزة ويافا وحاصر عكا لكنه اخفق في دخولها بعد استيلاء الاسطول البريطاني على المدافع المرسلة اليه من الاسكندرية، فضلا عن انتشار مرض الطاعون بين صفوف الجنود الفرنسيين مما اضطر نابليون للعودة الى مصر ومهاجمة الاسطول العثماني في حيران 1799 بمعركة ابي قير الثانية والتي حقق فيها الفرنسيين انتصارا⁽⁸³⁾.

حدثت انذاك فوضى عارمة في فرنسا بعد الهزائم التي تعرض لها الجيش الفرنسي امام النمسا ، واراد نابليون من هذه الفوضى كسب الراي العام الفرنسي بعودته للبلاد لان الوطن كان بحاجة اليه ، وفعلوا وصل الى باريس وقاد انقلابا واعتلى السلطة في فرنسا⁽⁸⁴⁾.

جرت اتصالات بين الجنرال كليبر الذي تركه نابليون في مصر والصدر الاعظم يوسف باشا حول اخلاء مصر، الا ان بريطانيا رفضت الامر ، ليتجدد القتال بين القوات الفرنسية والعثمانية ليلحق الفرنسيين هزيمة اخرى بالجيش العثماني في اذار 1800 وبعد مقتل كليبر واخفاق نابليون في ايصال الامدادات الى الجيش الفرنسي تعرضت القوات الفرنسية الى هزيمة امام القوات العثمانية والبريطانية في معركة ابي قير الثالثة اذار 1801، ودخلت القوات العثمانية الى القاهرة في حيران من العام ذاته ، وحوصرت القوات الفرنسية في الاسكندرية حتى استسلمت في ايلول ، وعقد اتفاق قضى بموجبه بجلاء القوات الفرنسية خلال 7 ايام، والموافقة على الاحتفاظ باسلحتهم ومعداتهم والاثار الفنية والعلمية التي حصلوا عليها من خلال اصطحاب لجنة العلوم والفنون⁽⁸⁵⁾.

عمل نابليون بوناپرت بعد خروج القوات الفرنسية من مصر على اعادة العلاقات مع العثمانيين ، فجرت مفاوضات بين الطرفين تم التوصل فيها الى اتفاق صلح مبدئي في 19 تشرين الاول 1801 نص على ايقاف الحرب بين الطرفين والاعتراف بالسيادة العثمانية على مصر واطلاق سراح المسجونين الفرنسيين في اسطنبول وتجديد الامتيازات السابقة ، الا ان السلطان سليم الثالث رفض المصادقة على الاتفاق بحجة ان نوايا فرنسا تجاه الدولة العثمانية باتت تختلف عما كانت عليه قبل الحملة على مصر⁽⁸⁶⁾.

دارت مفاوضات بين فرنسا وبريطانيا في صلح اميان ارادت بريطانيا ادخال الدولة العثمانية الى الصلح الا ان الدولة العثمانية رفضت ، وبعد اقناع السفير البريطاني للسلطان سليم الثالث دخلت الدولة العثمانية الى معاهدة اميان في ايار 1802⁽⁸⁷⁾.

فتحت معاهدة اميان لفرنسا حرية الملاحة في البحر الاسود ، كما تعهدت الدولة العثمانية بارجاع الاموال الفرنسية المصادرة ابان الحرب واعادة جميع الامتيازات التي حصلت عليها في معاهدة 1740 ، كما اتفق الطرفان على عدم اجبار فرنسا للعثمانيين لخوض المعارك الى جانبها⁽⁸⁸⁾.

اولى نابليون اهتماما بمنطقة الشرق وحاول الحصول على المزيد من الامتيازات، لذا فان اول خطواته في توطيد علاقاته مع العثمانيين كانت محاولة ابعاد البريطانيين عن مصر بمقتضى معاهدة اميان ، فسحبت بريطانيا قواتها الموجودة في الاسكندرية في اذار 1803 تحت الضغط الفرنسي ومشاورات بين نابليون والسفير البريطاني في باريس⁽⁸⁹⁾.

اثارت سياسة نابليون التوسعية مخاوف القوى الاوربية على الرغم من عقد صلح اميان معهم ، فعقدت النمسا تحالفا مع روسيا في 1804 , تلتها بريطانيا التي وقعت اتفاقية سان بطرسبورغ مع روسيا في 1805 , ورغم عودة العلاقات الى الهدوء نوعا ما بين فرنسا والدولة العثمانية الا ان هذا لم يمنع الاخيرة من تجديد حلفها الدفاعي مع روسيا في ايلول 1805⁽⁹⁰⁾.

قاد نابليون عدة حروب على الاراضي الاوروبية , فاستطاع هزيمة القوات الروسية والنمساوية بمعركة الاباطرة في ايلول 1805 التي اجبرت فيها القوات الروسية على الانسحاب , ولاحق القوات النمساوية الى العاصمة فيينا التي دخلها في تشرين الاول من العام ذاته مجبرا امبراطور النمسا على توقيع معاهدة بيرسبرغ والتنازل على عن عدة اقاليم اهمها البندقية⁽⁹¹⁾.

اثارت الانتصارات التي حققها نابليون السلطان سليم الثالث الذي اعترف بنابليون امبراطورا في تشرين الاول 1805 كخطوة ايجابية من لدنه نحو تحسين علاقاته مع فرنسا حاول نابليون وبمبادرة منه نحو اعادة الثقة بينه وبين العثمانيين بالطلب من تاليران نشر مشاريع الغزو التي ارادت روسيا تنفيذها ضد الدولة العثمانية ، كان نابليون يهدف في تلك المحاولات الى نقض العثمانيين احلافهم مع روسيا لقطع الطريق امام الاسطول الروسي في الوصول الى البحر المتوسط⁽⁹²⁾.

حاول قيصر روسيا الاسكندر الاول معالجة الازمة مع الدولة العثمانية في كانون الثاني 1807 من خلال رسالته الى السلطان سليم الثالث طالبه فيها بطرد السفير الفرنسي سبستيانى واعادة التحالف الثلاثي مقابل اعادة الروس الاراضي التي احتلها في 1806 كما ان الطلب بطرد السفير الفرنسي سبستيانى وجه من قائد الاسطول البريطاني الذي رسى بالقرب من العاصمة اسطنبول⁽⁹³⁾ , الامر الذي وضع السلطان سليم الثالث في موقف محرج مع التهديد الذي كانت تتعرض له العاصمة ، فطلب من الصدر اعظم ابلاغ السفير الفرنسي بمغادرة الاراضي العثمانية ، الا ان السفير رفض مغادرة البلاد مطالبا بمقابلة السلطان ، وفي لقائه معه استطاع من اقناعه بعدم اعلان الحرب على فرنسا وطرد السفير ووعده مساعدات فرنسية ضد التهديد البريطاني⁽⁹⁴⁾.

حصن العثمانيون عاصمتهم واشترك السلطان بنفسه في اعمال التحصين واعلن الباب العالي في اذار 1807 مقاومة الغزو البريطاني الامر الذي اضطر الاسطول البريطاني الى الانسحاب والخروج من المضيق خشية ان يحاصر فيه ، فتوجه اسطول اخر في 17 اذار 1807 صوب مصر لاحتلالها الا انه احتجز من قبل اسطول محمد علي ولم يفرج عنه الا بعد عقد صلح بين بريطانيا ومحمد علي⁽⁹⁵⁾.

بعد وفاة سليم الثالث اعتلى محمود الثاني السلطنة في 1808 وفي بداية عهده انتهت المعارك بين فرنسا وروسيا وعقدت بين الطرفين معاهدة تلسنت التي نصت في بنودها السرية على تقسيم الدولة العثمانية وتجريدها من الاراضي المسيطرة عليها⁽⁹⁶⁾ , مما دفع محمود الثاني الى عقد معاهدة مع بريطانيا واستئناف الحرب مع الروس في 1809 ، كما ان هزيمة نابليون في واترلو 1815 ادت الى اعتراف محمود الثاني بصربيا امارة مستقلة بضغط من الجانب الروسي⁽⁹⁷⁾.

ان الانكسار الفرنسي في معارك اوربا وفشل الحصار القاري وسوء علاقاتها مع الدولة العثمانية دفعت فرنسا الى التوجه صوب الشمال الافريقي ، ففي حزيران 1830 وصلت طلائع القوات الفرنسية الى مدينة الجزائر التي كانت تحت السيادة العثمانية ، الا ان الباب العالي لم يتخذ أي اجراء ضد الغزو الفرنسي بسبب انشغاله بالمشاكل مع محمد علي⁽⁹⁸⁾.

بعد ذلك حاول السلطان محمود الثاني تجميع قواه لاسترداد الاراضي التي استولى عليها محمد علي في معاهدة كوتاهيه ف عقد مع بريطانيا حلف بلطة ليما في 1838 ومنحهم امتيازات اقتصادية⁽⁹⁹⁾ ، وفي 1840 ومع وصول عبد المجيد الاول الى السلطنة وجهت الدول الكبرى باستثناء فرنسا إنذارا الى محمد علي ، فتدخلت فرنسا الى جانب محمد علي ونصحته بالتفاوض خشية من احتلال بريطانيا مصر وتضرر المصالح الفرنسية⁽¹⁰⁰⁾.

كان على اثر الصراع بين الدولة العثمانية ومحمد علي وبعد احتلال ابراهيم باشا لبنان توترت الاوضاع بين الطوائف اللبنانية الدروز والموارنة ودعم العثمانيون الدروز الذي وقفوا الى جانبهم محاولين تحريكهم لاثارة المشاكل ضد ابراهيم باشا ، في الوقت الذي دعمت فرنسا الموارنة مستغلة ضعف علاقاتها بالعثمانيين للعب دور في الازمة اللبنانية 1841 من اجل كسب ورقة ضغط على المصريين والعثمانيين معا⁽¹⁰¹⁾.

ثالثا: حرب القرم 1853-1856

بدأت المنافسة الفرنسية الروسية في 1849 عشية اندلاع حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية ، وتركز الخلاف الروسي الفرنسي حول حق حماية المناطق المقدسة في فلسطين بين روسيا راعية الارثوذكسية وفرنسا التي تعد نفسها حامية المذهب الكاثوليكي ، وجاءت مطالبات فرنسا بهذا الامر بسبب حاجتها للدعم الديني من الكنيسة في فرنسا⁽¹⁰²⁾.

ارسل نابليون مبعوثه الخاص الى السلطان العثماني من اجل ذلك في اواخر 1850 مطالبا اياه باعادة الامتيازات الفرنسية بهذا الشأن حاول السلطان ارضاء الجانب الفرنسي لكنه بنفس الوقت لم يكن يرغب باثارة المشاكل مع الجانب الروسي ، فلم يبت بالطلب الفرنسي و وعد باحالة الامر الى لجنة خاصة يتم تشكيلها لهذا الغرض⁽¹⁰³⁾.

ومع اللاحاق الفرنسي صدر قرار من الباب العالي في 21 اذار 1852 يقضي بمنح مفاتيح كنيسة بيت لحم الى الكاثوليك ومنحهم حق الخدمة الدينية فيها بشرط عدم منع أي من الطوائف المسيحية دخول الكنيسة⁽¹⁰⁴⁾.

اثار القرار العثماني لصالح فرنسا قيصر روسيا نيقولا الاول الذي عده استهزاء بحقوق الارثوذكس بكنيسة بيت لحم، فاجرى اتصالات مع بريطانيا حول احياء مشروع الرجل المريض لاقتسام املاك الدولة العثمانية⁽¹⁰⁵⁾.

حاول القيصر فرض معاهدة على السلطان العثماني تضمن ان تكون كنيسة بيت لحم تحت الحماية الروسية المباشرة، لكن السلطان رفض الامر فهدد القيصر باحتلال المناطق العثمانية برومانيا في 26 حزيران 1853⁽¹⁰⁶⁾.

ان الرفض العثماني للمعاهدة مع روسيا لم يكن معتمدا على قوة الجيش العثماني بل على المشاكل بين روسيا وبريطانيا والمشاكل بين روسيا وفرنسا لاسيما وان الاخيرة باتت تتحسن علاقتها بالدولة العثمانية بعد منح الكاثوليك الخدمة الدينية في بيت لحم⁽¹⁰⁷⁾.

لم تمنع فرنسا وبريطانيا مساعدة الدولة العثمانية لضمان وحدة الاراضي العثمانية ورد القوات الروسية لكن ذلك يجب ان يكون بمقابل اصلاحات داخلية عثمانية تضمن المساواة التامة بين المسيحيين والمسلمين في الدولة العثمانية ، وتحقق ما اراده الفرنسيون في معاهدة القسطنطينية 12 اذار 1854 أي بعد سنة واحدة من نشوب حرب القرم⁽¹⁰⁸⁾.

بموجب هذه المعاهدة اعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على روسيا مساندة للدولة العثمانية ، اذ ارسلت فرنسا ثلاثين الف جندي الى سباستبول لمساندة الجيش العثماني في المعارك ضد روسيا ، كما ارسلت عددا من المراسلين والمصورين العسكريين لتوثيق المعارك ونشرها في الصحف للتاثير على معنويات الروس⁽¹⁰⁹⁾ ، وبذلك المساعدة الفرنسية البريطانية وبعد مقتل حوالي ستة الاف جندي فرنسي وبريطاني استولى العثمانيون على سباستبول في 10 ايلول 1855 ، الامر الذي ادى الى نهاية حرب القرم بالانتصار العثماني المدعوم من لدن فرنسا وبريطانيا⁽¹¹⁰⁾.

بدأ مؤتمر الصلح اعماله ببائيس في 25 شباط 1856، ومن اجل الحصول على الدعم الفرنسي في مؤتمر الصلح اوفى السلطان بالتزاماته بمعاهدة القسطنطينية من خلال اصدار فرمان (خط همايوني) ضمن للطوائف غير المسلمة احترام حصانتها التقليدية وحرية العبادة وحرية ادارة ممتلكاتها دون عوائق ، كمال ضمننت تساوي جميع الرعايا العثمانيين بالضررائب والقضاء والتعليم والمساواة في الواجبات والخدمة في الجيش العثماني ، كما تعهد السلطان بانشاء بنوك وشركات مالية⁽¹¹¹⁾.

وقعت معاهدة باريس في 30 اذار 1856، وعلى الرغم من الانتصار العثماني الا انها قيدت الدولة العثمانية من خلال منع تجول أي اساطيل حربية في البحر الاسود حتى الدول المطلية عليه ، وتدويل منطقة الدانوب وعدم استعادة رومانيا الا بعد الاتفاق وعقد لجنة من الدول الاوربية⁽¹¹²⁾.

اعتبر العثمانيون معاهدة باريس نصرا فادح الثمن. فبالرغم من انها استرجعت اراض في الولايات الرومانية وابتعدت الروس عن الدانوب الا انها لم تزل الخطر الروسي عن المناطق العثمانية شرق الاناضول⁽¹¹³⁾.

رابعاً: التنافس الروسي الفرنسي على الدولة العثمانية 1856-1914

أصبحت روسيا في أعقاب الحرب في عزلة خارجية، فقد حرمتها معاهدة الصلح من حق امتلاك اسطول حربي وحصون على البحر الاسود، واصبحت حدودها الجنوبية غير محمية، لذلك كان الهدف الأول لسياستها الخارجية العمل على إلغاء الشروط المجحفة بحقها التي تضمنتها معاهدة باريس، وأولها البنود المتعلقة بحياض البحر الاسود، ولأنها لا تمتلك القوة العسكرية الكافية لخوض حرب جديدة فإنها سعت لتحقيق مآربها بالطرق الدبلوماسية، مستغلة التناقضات بين الدول الأوروبية الكبرى وفي عام 1870 وزعت الخارجية الروسية مذكرة على الدول الأوروبية توضح فيها ان روسيا لا تستطيع ان تلتزم بتنفيذ بنود معاهدة باريس لان الدول الأخرى خرقتها، ثم تقدمت بطلبها الى المؤتمر الدولي في لندن عام 1871 الذي وافق على الطلب الروسي، وبذلك أصبح بإمكان روسيا ان تعيد إنشاء الحصون على شواطئ البحر الاسود وتعيد بناء اسطولها البحري هناك⁽¹¹⁴⁾.

استفادت روسيا في تقوية موقعها بوجه بريطانيا وفرنسا بتحالفها مع المستشار الألماني بسمارك وأثمر التحرك الروسي باتجاه النمسا والمانيا، بعد وحدة الأخيرة، فعقد اجتماع ضم الأباطرة الثلاثة في برلين عام 1872، واتفقوا على المحافظة على الوضع السائد في أوروبا، والعمل معاً لحل مشكلات البلقان، وكبح التوجهات الاشتراكية والثورية، والسعي في سبيل الإصلاح⁽¹¹⁵⁾.

في عام 1874 عانى البلغار من أزمة اقتصادية أشعلت فتيل الاستياء والسخط على الهيمنة العثمانية، فقامت ثورة البوسنة والهرسك في العام التالي، كما أعلن البلغار العصيان مطالبين بالاستقلال وقتلوا الموظفين الاتراك، ثم انتقل لهيب الثورة الى الصرب والجبل الاسود وأعلنوا الحرب على الدولة العثمانية عام 1876م، وطالبت شعوب البلقان مساندة الدول الأوروبية، إلا أن بريطانيا خشيت من تطورات الحالة المتعجزة التي قد تؤدي الى طلب العناصر السلافية الانضمام الى روسيا، وكان البريطانيون يعتقدون ان من صالح تجارتهم الوقوف بوجه أية انتفاضة تؤدي الى هدم الدولة العثمانية مما يفسح المجال لتدخل دول أوروبية قوية كالنمسا أو روسيا⁽¹¹⁶⁾.

استطاع الجيش العثماني السيطرة على الوضع بعد اندحار الجيش الصربي وجيش الجبل الاسود، ووجدت الحركة التحررية للسلاف مساندة ودعم من روسيا، فبدأت حملة للتبرعات والتطوع مع الجيش الصربي. اما الحكومة الروسية فقد شاب التردد موقفها في البدء لخشيته من نزاع دولي جديد وهي غير مستعدة لحرب كبيرة، لذا حاولت ان تضغط بالطرق الدبلوماسية على الدولة العثمانية لتقديم تنازلات لصالح السلاف، وأعلنت التعبئة الجزئية لدعم موقفها، فوقعَت الدولة العثمانية الصلح مع صربيا، في حين واصل الجبل الأسود القتال، واقتربت روسيا تسوية سلمية للنزاع، إلا أن العثمانيين رفضوا ذلك بتأثير من بريطانيا، فأعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في نيسان 1877، بعد أن أدركت ان استمرار ترددها يعني العجز وخسارتها النهائية لنفوذها بين الشعوب السلافية وفي شهر أيار دخلت رومانيا الحرب الى جانب روسيا، وجرت العمليات العسكرية في البلقان وفي ما وراء القفقاس، وفي صيف 1877 اجتاز الجيش الروسي نهر الدانوب ودخل العاصمة البلغارية القديمة (ثيرنوف). إلا ان فشل الروس في توسيع نطاق عملياتهم الحربية في ما وراء البلقان لم يثنهم عن مواصلة القتال، واستطاعت قواتهم في بداية العام 1878م من دخول مدينة أدرنة، وأصبحت الطريق إلى اسطنبول مهددة، كما سقطت الحصون العثمانية في القفقاس، الأمر الذي جعل الأتراك يطلبون الصلح⁽¹¹⁷⁾.

تم في آذار 1878 التوقيع على معاهدة سان ستيفانو بشروط فرضتها روسيا تضمنت تكوين دولة جديدة كبيرة مستقلة هي بلغاريا، واعتراف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود وصربيا، والاعتراف برومانيا دولة مستقلة، وان تجري الدولة العثمانية إصلاحات في المناطق التي يقطنها المسيحيون داخل الدولة، والإقرار بما حصلت عليه روسيا في بيسارابيا ومنطقة قارص في القفقاس وتعويضها مبلغاً مالياً ضخماً⁽¹¹⁸⁾، فكان ذلك نصراً كبيراً لروسيا على الرغم من انه لم يرض طموح القيصر الذي جنح به بعيداً عشية الحرب إذ أبلغ قائد جيشه بأن "هدفنا الاستانة(اسطنبول)، والنصر يسوي جميع المشكلات، فعندما تحتل الجيوش المدينة من ذا يجروا على طردها منها؟"⁽¹¹⁹⁾.

كان لوقع انهيار الدولة العثمانية أثراً كبيراً على بريطانيا، فسيطرة روسيا على الدولة العثمانية يعني تهديد مركز بريطانيا في الشرق بأسره لاسيما وان روسيا تقدمت باتجاه طريق الهند⁽¹²⁰⁾، لذلك أرسلت أسطولها لاجتياز الدردنيل، ودعت القوات الاحتياطية وطالبت بعرض معاهدة سان ستيفانو على الدول العظمى، ووافقت روسيا مرغمة على عرض المعاهدة

وتعديل شروطها، وعقد مؤتمر برلين في حزيران 1878 لتسوية مسألة الشرق الأدنى إنسجاماً مع مصالح بريطانيا والنمسا، وبذلك سلمت البوسنة والهرسك الى النمسا، وتم تقليل مساحة بلغاريا نتيجة إصرار بريطانيا، وعوضت روسيا مقابل ذلك، إذ منحت، بسارابيا مع موافقة الدول الأوروبية على ما احتلته روسيا من أراض وممتلكات في ما وراء القفقاس⁽¹²¹⁾، وهذا من وجهة النظر الروسية يعني حرمانها من جميع مغامرات الحرب⁽¹²²⁾. أما بريطانيا فقد استولت على جزيرة قبرص بحجة جعلها قاعدة للدفاع عن الباب العالي⁽¹²³⁾.

لقد أظهر مؤتمر برلين هشاشة اتحاد الأباطرة الثلاثة وعدم جدواه، إذ إنهار مع أول هزة تعرض لها، وتؤكد أن التناقضات بين الدول الكبرى والتنافس على المصالح والمكاسب يبقى العامل المحرك وراء السياسات المتقلبة، وليس للاتفاقيات والاحلاف والمعاهدات ثبات دائم حتى وإن كانت نتيجة للنيات المخلصة.

في عام 1879 أبرمت النمسا والمانيا تحالفاً ثنائياً، ما لبث أن انضمت إليه إيطاليا عام 1882 ليصبح التحالف الثلاثي، وهو موجه في دواخيه ضد روسيا وفرنسا⁽¹²⁴⁾، إذ إن مصالح روسيا والمانيا تباعدت كلياً، ورفضت المانيا منح قرض لروسيا ورفضت الرسوم الكمركية على الحبوب الروسية، في حين ظلت العلاقة متوترة مع بريطانيا، ولذلك دافعت روسيا عن المعاهدات السابقة التي أبرمتها مع المانيا والنمسا – المجر لكونها تعادي بريطانيا⁽¹²⁵⁾.

أصبح التحالف الثلاثي مغلقاً لكل من روسيا وفرنسا، واتفقت الدولتان عام 1891 على قيام تحالف بينهما، وفي عام 1894 أبرمتا اتفاقية حربية سرية لمواجهة التهديد الألماني لأي منهما، وللتعبئة العاجلة عند ظهور أول بادرة من بوادر التهديد من قبل دول الحلف الثلاثي⁽¹²⁶⁾.

خامساً: موقف روسيا وفرنسا من الدولة العثمانية إبان الحرب العالمية الأولى:

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، لم يعتقد أحد أن الإمبراطورية العثمانية كانت مستعدة للمشاركة فيها، إذ كانت الإمبراطورية العظمى سابقاً توصف آنذاك بأنها "الرجل المريض على البسفور". ومرة بعد الأخرى، تجادلت روسيا وفرنسا وبريطانيا حول ما تبقى من الإمبراطورية العثمانية. ولهذا السبب، تحالفت الإمبراطورية العثمانية عام 1914 مع ألمانيا، التي لم تطالب بأراض عثمانية، بل ووعدت، إضافة إلى ذلك، بتقديم دعم واسع إلى العثمانيين⁽¹²⁷⁾.

بدأ التعاون العثماني مع المانيا إبان الحرب العالمية الأولى بعد استضافة المونى العثمانية للطرادين الألمانيين برسلاو وجوبين الذين قاما بقصف القواعد الفرنسية في شمال أفريقيا ومن ثم توجهوا إلى الدولة العثمانية في 2 اب 1914⁽¹²⁸⁾، في نهاية تشرين الأول/ أكتوبر عام 1914، أطلقت سفن حربية تركية النار على موانئ روسية، ما شكل بداية مشاركة الإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى. ورغم أنها كانت ضعيفة من الناحية العسكرية، إلا أن السلطان محمد الخامس العثماني، باعتباره كان يحمل لقب خليفة المسلمين آنذاك، اعتمد على سلاح ديني، فقد ناشد جميع المسلمين الذين كانوا يعانون من السيطرة الفرنسية أو البريطانية أو الروسية أن يعلنوا الجهاد على محتليهم من الكفار⁽¹²⁹⁾.

أدى التعاون العثماني مع المانيا ضد الروس إلى إعلان روسيا الحرب على الدولة العثمانية في 2 تشرين الثاني 1914، وبعد ثلاثة أيام أعلنت فرنسا الحرب أيضاً على الدولة العثمانية، وقد استغل السلطان العثماني محمد الخامس تلك الحرب لإعلان الجهاد المقدس ضد الحلفاء بشكل عام والروس بشكل خاص من أجل استعادة الأراضي التي فقدتها الدولة العثمانية لصالح روسيا خلال السنوات الماضية⁽¹³⁰⁾.

في تلك الأثناء دارت بين دول الحلفاء اتصالات توجت في 9 ايار 1916 بعقد اتفاقية سايكس بيكو من قبل روسيا وفرنسا وبريطانيا، ونصت الاتفاقية على اقتسام أملاك الدولة العثمانية، وبعد الاتفاق بين الفرنسي جورج بيكو والبريطاني ومارك سايكس والروسي سazanوف تم الاتفاق على عقد اجتماع في مدينة سان بطرسبرغ الروسية لتوقيع الاتفاق بشكل رسمي⁽¹³¹⁾.

وفي 7 تشرين الثاني 1917 اندلعت الثورة الروسية واسقطت النظام القيصري، وأعلن فلاديمير لينين قائد الثورة عن مبادرة لوقف الحرب في اليوم التالي من سقوط النظام القيصري، وجاء في إعلان فلاديمير لينين انتقاده لسياسة الدول الاستعمارية والغاء جميع الاتفاقيات التي عقدها النظام القيصري مع دول الحلفاء. وفي 3 كانون الأول 1917 نشرت روسيا مضامين اتفاق سايكس بيكو، وأعلنت إلى مسلمي العالم خروجها منه⁽¹³²⁾.

اما فرنسا التي استمرت في الحرب العالمية ضد المانيا والدولة العثمانية ، ودخلت القوات الفرنسية الى بيروت ، بعدها شاركت القوات الفرنسية في الدخول الى الاراضي التركية ، لتنتهي الحرب العالمية الاولى بدور فرنسي اخر لاسقاط الدولة العثمانية وهو عقد مؤتمر الصلح في باريس عام 1919 والذي فرض شروطا مذلّة على الدولة العثمانية⁽¹³³⁾.

الخاتمة:

عملت روسيا وفرنسا منذ البداية على التعامل مع الدولة العثمانية كل حسب مصالحه ، فروسيا هدفت الى كسب المزيد من الاراضي التابعة للدولة العثمانية من اجل الوصول الى منفذ بحري على المياه الدافئة. اما فرنسا التي انتهجت سياسة توسعية على حساب الدولة العثمانية لكن بصورة تختلف عن تلك التي مارستها روسيا فطورت علاقتها مع العثمانيين للحصول على مكاسب اقتصادية ، لكن ذلك لم يمنعها بالرغم من تطور العلاقات الى احتلال مصر 1899 والجزائر 1830 وتونس 1882 والتدخل في الشام بعد عام 1840. اذن يتضح مما تقدم ان البلدين بالرغم من اختلاف سياستهم ربطتهما هدف واحد وهو اسقاط الدولة العثمانية ، بالرغم من محاولتهم في فترات زمنية من الحفاظ عليها. فروسيا التي حاولت مرارا وتكرارا الوصول الى اسطنبول واسقاط الحكم العثماني واعادة امجاد الدولة البيزنطية عملت في بداية القرن التاسع عشر على الحفاظ على الدولة العثمانية وحمايتها من السقوط لكي تشكل سدا منيعا بينها وبين المصالح الفرنسية والبريطانية من جهة ومنع قيام دولة اسلامية قوية على حدودها بسيطرة محمد علي على الاراضي العثمانية من جهة اخرى.

هوامش البحث:

- (1) علي شعيب ، حياة بطرس الاكبر قيصر روسيا، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1992 ، ص 34 ؛ بوغانوف ، حياة بطرس الاكبر ، تعريب: خيرى خان، دار التقدم ، موسكو ، 1990، ص 64.
- (2) شكيب ارسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، دار ابن كثير ، دمشق ، 2001 ، ص 239 ؛ Von Hammer ,Purystell, Historei de Empire Ottoman Traduit, Hellert , Paris , P 437.
- (3) عبد الرؤوف سنو ، العلاقات الروسية العثمانية 1867-1878، سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العددان 73-74، بيروت ، 1984 ، ص 4.
- (4) جون باترك كينورس ، القرون العثمانية قيام وسقوط الامبراطورية التركية ، تعريب : ناهد ابراهيم دسوقي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 2003 ، ص 452.
- (5) De La Matine , Historie De La Turquie , T.7, Paris Librarie Du Costntionel , P 377.
- (6) جون باترك كينورس ، المصدر السابق ، ص 454.
- (7) مصطفى كامل ، المسألة الشرقية ، مطبعة المعارف ، القاهرة ، 1898، ص 64.
- (8) هاشم صالح التكريتي ، المسألة الشرقية ، المرحلة الاولى ، 1774-1856، دار الكتب والوثائق ، بغداد ، 1990، ص 37.
- (9) M.S. Anderson , The Eastern Question 1774-1923, New York , 1996, P 8-12.
- (10) Ibid.
- (11) هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق ، ص 37.
- (12) Isabel De Madariaga , Russia In Age of Catharine The Great, London , 1981, P 408.
- (13) Ibid, P 409.
- (14) Adolphus Williams and Gooch Ward , The Cambridge History of British Foreign Policy 1783-1815, Vol 1 , New York , 1922, P 196.
- (15) Isabel De Madariaga , Op.Cit, P 415.
- (16) Edward Shepherd Creasy , History of the Ottoman Turks from The Beginning of their Empire to The Present Time , Vol 2, London , 1856, P 298.
- (17) Isabel De Madariaga , Op.Cit, P 550.
- (18) William Eton , The Survey of The Turkish Empire , T. Cadell John and W. Davis , London , 1799, P 368.
- (19) Ibid, P 454.
- (20) John C. Abbot, The Empire of Russia, New York , 1882, P 451.
- (21) هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق، ص 51-52.
- (22) يلماز اوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج1 ، تعريب : عدنان محمود سلمان ، مؤسسة فيصل ، استانبول ، 1988، ص 651.
- (23) هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق، ص 53.
- (24) روبرت مانتوران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج2، تعريب: بشير السباعي ، دار الفكر والدراسات ، القاهرة ، 1992 ، ص 18-19 ؛ بير شوجر، اوربا العثمانية 1354-1804، تعريب: عاصم الدسوقي ، دار الثقافة الجديدة ، 1998 ، ص 247.
- (25) هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق، ص 63.
- (26) المصدر نفسه ، ص 65-67.
- (27) Walter Angas Morison , The Revolt of The Serbs Against the Turks , 1804-1813, Cambridge University Press, 2012, P XXII.
- (28) Anderson , Op.Cit, P 34.
- (29) هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق، ص 70-71.

- (30) مهند عويد البعيجي ، سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية 1789-1809، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، 2007 ، ص 133-134.
- (31) المصدر نفسه ، ص 141-142.
- (32) علي حيدر سليمان ، تاريخ الحضارة الاوربية الحديثة ، دار واسط للنشر ، بغداد، 1990 ، ص 220.
- (33) عبد الكريم علي حمادي ابو رقية، كاظم جواد احمد ، التوسع الروسي في الدولة العثمانية 1774-1917، مجلة كلية التربية الاساسية ، جامعة بابل ، العدد 5 ، تموز 2011 ، ص 612.
- (34) عبد شاطر عبد الرحمن ، تفكك يوغسلافيا وانهايار مشروع صربيا الكبرى ، مجلة دراسات اقليمية ، 14/5 ، جامعة الموصل ، ص 6.
- (35) عبد الكريم علي حمادي ابورقية، كاظم جواد احمد ، المصدر السابق ، ص 612.
- (36) مصطفى كامل ، المصدر السابق، ص 52.
- (37) سامي صالح محمد ، انمار عبد الجبار جاسم ، الحرب الروسية العثمانية 1828-1829 والموقف البريطاني والفرنسي منها ، مجلة اداب الفراهيدي ، العدد 20 ، حزيران 2014 ، ص 343.
- (38) يلماز اوزتونا ، المصدر السابق، ج 1 ، ص 675.
- (39) مصطفى كامل، المصدر السابق، ص 51.
- (40) جميل عبيد ، تاريخ المصريين قصة احتلال محمد علي لليونان 1824-1827 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1990 ، ص 97-98.
- (41) للمزيد من التفاصيل عن المعارك التي خاضتها القوات المصرية والعثمانية في اليونان ينظر: المصدر نفسه ، ص 107-125.
- (42) مصطفى كامل ، المصدر السابق، ص 52.
- (43) كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، مكتبة اليقظة ، بغداد ، 1976 ، ص 66-67.
- (44) ه أ ل ، فشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث 1879-1950 ، ص 28.
- (45) لتفاصيل معركة نافارين ينظر: جميل عبيد ، المصدر السابق، ص 147-159.
- (46) سامي صالح محمد ، انمار عبد الجبار جاسم ، المصدر السابق، ص 343.
- (47) المصدر نفسه ، ص 344-345.
- (48) عمار محمد كاظم فرج ، السياسة الداخلية في عهد السلطان محمود الثاني 1808-1839 ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، 2006، ص 100.
- (49) Anderson , Op.Cit, P68.
- (50) لتفاصيل معارك الحرب الروسية العثمانية 1828-1829 ينظر: يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ج 2 ، ص 10-12ظ
- (51) سامي صالح محمد ، انمار عبد الجبار جاسم ، المصدر السابق، ص 352-353.
- (52) سيفانوف ، فيدوسوف ، تاريخ الاتحاد السوفيتي ، تعريب : خيرى الضامن ، نيقولا ، دار التقدم ، موسكو، ص 338-339.
- (53) عبد الكريم علي حمادي ابورقية، كاظم جواد احمد ، المصدر السابق، ص 613.
- (54) عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1517-1952، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1989، ص 219-220.
- (55) علي حيدر سليمان ،المصدر السابق، ص 316.
- (56) عبد الكريم علي حمادي ابورقية، كاظم جواد احمد ، المصدر السابق، ص 614.
- (57) عيسى الحسن ، الدولة العثمانية عوامل البناء واسباب الانهيار ، الاهلية للنشر ، عمان ، 2009، ص 139.

- (58) المصدر نفسه، ص 140.
- (59) كمال حسنة ، العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث 1789-1807، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2006، ص 41.
- (60) يلماز اوزتونا ،المصدر السابق ، ج 1 ، ص 599.
- (61) كمال حسنة ، المصدر السابق، ص 44.
- (62) يلماز اوزتونا ، المصدر السابق، ج 1 ، ص 602.
- (63) Ariel Sazmann , Tocqueville in The Ottoman Empire , koniklijek , Leiden , 2004, p40.
- (64) روبير مانتوران ، المصدر السابق، ص 417.
- (65) عيسى الحسن ، المصدر السابق، ص 202.
- (66) Ariel Sazmann , Op cit , p 54.
- (67) كمال حسنة ، المصدر السابق، ص 54.
- (68) Garbor Agoston , Bruce Masters , Encyclopedia of Ottoman Empire , fact on files , new York, 2009 , p 222.
- (69) روبير مانتوران ، المصدر السابق، ص 11.
- (70) عبد العزيز سليمان نوار ، محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص 297.
- (71) كمال حسنة، المصدر السابق، ص 104.
- (72) روبير مانتوران، المصدر السابق، ج 2، ص 17.
- (73) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص 649.
- (74) كمال حسنة، المصدر السابق، ص 108.
- (75) روبير مانتوران، المصدر السابق، ص 17.
- (76) كمال حسنة، المصدر السابق، ص 108.
- (77) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص 650.
- (78) كمال حسنة، المصدر السابق، ص 108.
- (79) عيسى الحسن ، المصدر السابق، ص 250.
- (80) كمال حسنة، المصدر السابق، ص 110.
- (81) المصدر نفسه، ص 111.
- (82) روبير مانتوران، المصدر السابق، ج 2، ص 17.
- (83) شكيب ارسلان ، المصدر السابق، ص 261.
- (84) عبد العزيز سليمان نوار ، محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص 297.
- (85) كمال حسنة، المصدر السابق، ص 121.
- (86) كمال حسنة، المصدر السابق، ص 123.
- (87) روبير مانتوران، المصدر السابق، ج 2، ص 18.
- (88) كمال حسنة، المصدر السابق، ص 124.
- (89) يلماز اوزتونا، المصدر السابق، ص 652.
- (90) كمال حسنة، المصدر السابق، ص 132.

- (91) عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص301.
- (92) كمال حسنة، المصدر السابق، ص133.
- (93) روبير مانتران ، المصدر السابق، ج2، ص21.
- (94) شكيب ارسلان ، المصدر السابق، ص262.
- (95) Garbor Agoston , Bruce Masters , Op Cit, p 223.
- (96) روبير مانتران ، المصدر السابق، ج2، ص23.
- (97) محمود ثابت الشاذلي، المسألة الشرقية 1299-1923 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1989، ص132-133.
- (98) انينل الكسندروفنادولينا ، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية ، تعريب: أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1999، ص39.
- (99) روبير مانتران ، المصدر السابق، ج2، ص46.
- (100) انينل الكسندروفنادولينا ، المصدر السابق، ص80.
- (101) روبير مانتران، المصدر السابق، ج2، ص130.
- (102) محمود ثابت الشاذلي ، المصدر السابق، ص134.
- (103) روبير مانتران ، المصدر السابق، ج2، ص133.
- (104) المصدر نفسه، ص132.
- (105) محمود ثابت الشاذلي ، المصدر السابق، ص136.
- (106) يلماز اوزتونا ، المصدر السابق، ج2، ص46.
- (107) روبير مانتران ، المصدر السابق، ج2، ص134.
- (108) يلماز اوزتونا ، المصدر السابق، ج2، ص47.
- (109) روبير مانتران ، المصدر السابق، ج2، ص134.
- (110) Garbor Agoston , Bruce Masters , Op Cit, p 225.
- (111) يلماز اوزتونا ، المصدر السابق، ج2، ص56.
- (112) شكيب ارسلان ، المصدر السابق، ص296.
- (113) روبير مانتران ، المصدر السابق، ج2، ص134.
- (114) بيبفانوف و فيدوسوف ، المصدر السابق، ص398-399.
- (115) ه.أ.ل. فشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث 1789-1950، ص361 .
- (116) علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص320 .
- (117) بيبفانوف و فيدوسوف ، المصدر السابق، ص400-406 .
- (118) علي محمد محمدالصلاحي، الدولة العثمانية. عوامل النهوض والسقوط، دار المعرفة، بيروت، 2006، ص446-447 .
- (119) نقلاً عن : أندره موروا، بريطانيا في عهد الملكة فكتوريا. سيرة دزرائيلي، ترجمة :مترى نعمان، المنشورات العربية، باريس، د.ت، ص320 .
- (120) المصدر نفسه، ص327 .
- (121) ه.أ.ل. فشر ، تاريخ اوربا في العصر الحديث 1789-1950، ص370-371 .
- (122) أندره موروا، المصدر السابق، ص326 .
- (123) ه.أ.ل. فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث 1789-1950، ص371 .

- (124) المصدر نفسه، ص390 .
- (125) بيبفانوف و فيدوسوف ، المصدر السابق، ص408 .
- (126) ه.أ.ل. فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث1789-1950، ص399-400 .
- (127) مارك فون لوبكه ، اخيم زيغيلو، الامبراطورية العثمانية ودورها في الحرب العالمية الاولى ، شبكة التلفزة الالمانية DW، في 28 تموز 2014.
- (128) روبير مانتران ، المصدر السابق، ج2، ص 305.
- (129) مارك فون لوبكه ، اخيم زيغيلو ، المصدر السابق.
- (130) لتفاصيل المعارك العثمانية الروسية ابان الحرب العالمية الاولى ينظر: روبير مانتران ، المصدر السابق ، ص 308-314.
- (131) عبد الكريم الحسيني ، الصهيونية ، الغرب والمقدس والسياسة ، شمس للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2010، ص 365..
- (132) محمد اشتية ، موسوعة المفاهيم الفلسطينية ، دار الجليل ، عمان ، 2011، ص 35-37.
- (133) روبير مانتران، المصدر السابق، ج2، ص20.